



السمة الأكثر بروزا في الشرق الأوسط اليوم هي التسارع على اجراء تموضات جديدة لأطراف اللعبة الإقليمية، بما فيها من تفكك ل تحالفات قديمة وتشكيل أخرى جديدة، وذلك على وقع النتائج التي تمخضت عنها الحرب السورية وتجلّ المشهد على صورة جديدة فاجأت حتى الاطراف التي عملت على صناعته، ما شكل حالة من الإرباك والتوتر.

ليس خافياً أن السبب الرئيس يعود إلى حقيقة أن جميع الأطراف لم يكن لديها إستراتيجية خروج، فالجميع خاضوا الحرب في سورية على ضوء تقديرات تشير إلى إستمرارية اطول، والمفارقة أن التقنيات التي أنتجت المشهد الحالي لم تكن سوى تكتيكات منفصلة لم يكن المقصود منها إنتهاء الحرب بقدر تقوية مواقف الأطراف وتوسيع هوامش المناورة والحركة لديها.

وإذا كانت تلك التقنيات قد عطلت مكائن الحرب وشلت حركة آلتها، وخاصة على الجبهات الرئيسية في الحرب السورية، إلا أن الواضح فيها أنها شيدت عماراتها على السطح دون الإهتمام ببناء الأساسات، التوافق السياسي على إنتهاء الحرب، والذي يبدو أنه لن يتحقق في وقت قريب، والتوافق بين الأطراف المنخرطة على صيغة الحل، بما يعني ترك فسحة كبيرة لمواصلة النزاع وإحتمالية تمدده إلى الجوار الإقليمي الذي يشهد حالة من الغليان الغير مسبوقة.

أمام هذا الوضع ينهض حراك إقليمي متلهف لمعرفة وقائع اليوم التالي، ما هي حصة كل طرف وما ستكون نتيجة إستثماره، بل كيف يمكن في هذه الأوضاع حساب الأرباح والخسائر، وما يزيد من حدة إرباك الأطراف الإقليمية رؤيتها لترتيبات روسية - أميركية، جزء منها معلوم، لكن الجزء الأكبر مخفي وغير معلن .

وتكون مشكلة القوى الإقليمية "إيران وتركيا وإسرائيل" وكذلك المحلية "النظام والأكراد والمعارضة" في أن ماحققه كل

طرف منهم في سوريا ليس أكثر من كرت فيزا " شريحة" إما ان يجري تفعيلها وتصبح قابلة للاستثمار وإما ان يتخطى الزمن تقنيتها وتصبح غير صالحة لشيء.

وتكمّن المشكلة الأخرى في توجس الأطراف الإقليمية من إمكانية حصول إنتيادات في التموضعات السابقة تجلب عليها مخاطر غير محسوبة، صحيح أن روسيا حتى اللحظة لا يبدو أنها ستتخلى عن إيران، ولا أميركا عن الأكراد في سوريا، لكن سيولة المتغيرات تجعل أي طرف غير قادر على التنبؤ بما سيفعله هو نفسه في اليوم التالي، كما أن الإستراتيجيات في هذه الظروف يجري بناؤها خطوة خطوة مع قابلية كبيرة لإجراء تحديات يومية عليها، فالاستحقاقات التي تحملها المراحل القائمة وخاصة إعادة الإعمار ستتشكل ديناميكية للتغيرات مهمة في المواقف.

قد يكون انخفاض حدة الصراع في سوريا عاملاً مساعداً على خفض مستوى التوتر بين الأطراف، لكنه من جهة أخرى سيدفع إلى شكل جديد من التحالفات نظراً للاستحقاقات التي يولدتها. كما أن هذه الأوضاع من شأنها إيجاد ظروف جديدة من شأنها إعادة تركيب التحالفات وإعادة صياغة الجبهات على أساس جديدة، ومحرك هذه العملية سيكون إما مواجهة أخطار مشتركة أو إستشراف مكاسب إستراتيجية نتيجة تبدل حسابات الأطراف.

وفي صورة هذا المشهد وطبيعة حراكه، ثمة جبهات مقبلة على تغيرات خطيرة، ولا يوجد ثمة إمكانية واضحة لإجراء تعديلات على مسارات الأزمة فيها، وخاصة جبهة إسرائيل - إيران، والجبهة أو الجبهات الكردية، حيث تعكف إسرائيل على فحص خياراتها وتدرس قدراتها وهل تنتظر حتى تستقر الأمور لإيران أم تذهب صوب ضربة إستباقية وتجبر روسيا وأميركا على إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة، وهو ما يبدو أن إسرائيل تتجه له.

وفي الملف الكردي، من غير المتوقع تراجع الأكراد إستراتيجياً، سواء في العراق أو في سوريا، بعيداً عن شكل التكتيكات التي سيتبعونها، فهم يرون أنهم أمام فرصة رغم كل المخاطر التي تنطوي عليها، إلا أنهم في وضع لم يكونوا بمستواه في تاريخهم الحديث، ليس فقط على مستوى علاقاتهم مع اللاعبين الدوليين الكبار، بل وعلى مستوى بلورة مواردهم وإستعداداتهم التي وصلت لدرجة غير مسبوقة والتي لن تتكرر في حال ضياع الفرصة الآن .

ما يتغير هو شكل الأزمة وإطارها، فالأزمة السورية في بعدها الداخلي أصبحت ممسوكة من قبل اللاعبين الكبار وخاصة لحساباتهم ورؤاهم بعد أن جردت الأطراف الداخلية من قدرتها على المناورة، في حين أن موضع نتائجها على المستوى الإقليمي هو الذي يشهد تفاعلات عنيفة تهدّد بإعادة خلط الأوراق من جديد وينذر بصدامات وشيكه لإعادة التوازن الذي تخلّل لصالح أطراف محدّدة في اللعبة الإقليمية، وقد حصل ذلك نتيجة تدخل روسيا وتخاذل أميركا، وليس نتيجة قوة الطرف الذي يبدو أنه كسب حتى اللحظة.

المصادر: